الشباب والزواج: المعوقات الاجتماعية والاقتصادية(*)

حسان حمدان

مقدمة

[...]

الشباب والزواج هو عنوان الدراسة الاجتماعية التي جرى تنفيذها، بهدف الإحاطة، ولو جزئياً، بالهموم التي تشغل الشباب اليوم لناحية الزواج، كخطوة طبيعية يقدمون عليها مثل كل البشر ويحققون من خلالها حاجاتهم العاطفية والجنسية والاندماج الاجتماعي ضمن أسرة مستقلة يكوّنونها على صورة حلمهم وينجبون فيها أولاداً، ويجدّدون من خلالها النوع البشري، ويعيدون إنتاج المجتمع في إحدى أهم مؤسساته الاجتماعية وهي العائلة.

إن دراسة حول الشباب والزواج تحتمل مقاربة جوانب وعناصر تكاد لا تُحصى نظراً لتعدّد الظاهرات الاجتماعية التي يشكّل الشباب أحد مكوّناتها من جهة، ولتعدد وتنوع وتشعب المسائل المتصلة بالزواج كظاهرة ومؤسسة تواجه اليوم في المجتمع مشكلات تكاد لا تحصى؛ ولأن كل دراسة مرهونة بشروط تحققها وملاءمتها وفقاً للإمكانات البشرية والمادية المتوفرة لها، فإن الدراسة الحالية وضعت لنفسها حدوداً أمْلتها ما توفر لها من بعض هذه الشروط.

(*) هذه مقدمة الدراسة التي أعدها د. حسان حمدان **الشباب والزواج: المعوقات الاجتماعية والاقتصادية** لمركز حقوق المرأة للدراسات والأبحاث، وبدعم من مؤسسة فريدريش إيبرت، بيروت، كانون الثاني ٢٠٠٢.

من هنا فإن الهدف الرئيسي من رصد وتبيان بعض جوانب العلاقة بين الشباب والزواج كاستحقاق قادم، يكمن في تظهير أهم العوامل والمؤثرات التي تؤدّي دوراً في تحديد موقف الشباب من الزواج، وبعض المسائل المرتبطة به، وبما يسمح للمنظمات الاجتماعية، ولا سيما النسائية والشبابية، ببلورة توجهات عمل وبرامج ملموسة للنشاط، تجاه هذه الفئة حول موضوع حيوي كالزواج، تسعى من خلاله ومع الفئة المعنية من الشباب إلى التصدّي بفعالية لبعض المشكلات التي تواجه الشباب حيال الزواج كمحور رئيسي من محاور النشاط الاجتماعي الخاص بتلك المنظمات.

أولاً- منهجية الدراسة وخصائص العيّنة

أ- منهجية الدراسة

اعتمدت الدراسة الميدانية منهجية الاستقصاء بالعيّنة مستخدمة الاستمارة كأداة معاينة وجمع المعطيات الضرورية عبرها، وتبيان العلاقة بين بعض المتغيرات التي تؤثر في تحديد مواقف وآراء الشباب حيال بعض المسائل المتصلة بالزواج.

لقد شملت العيّنة ٣٤٨ شاباً من الإناث والذكور ضمن الطلاب الجامعيين المتابعين لدراستهم أو أنهوها منذ فترة قصيرة جداً، وحصّلوا الإجازة ولكنهم يتابعون الدراسة العليا في اختصاصهم.

ب- خصائص العيّنة

- شملت المعاينة ٣٧٠ شاباً، ثم بعد التدقيق حُذفت ١٢ استمارة من أجل تأمين التوازن في التوزع بحسب الجنس على أساس ١٧٤ من الإناث و١٧٤ من الذكور.

- تراوحت أعمار الشباب في العيّنة بين ١٨ و٢٧ سنة، وجرى تقسيم المستجوبين إلى ثلاث فئات عمرية: الفئة العمرية الأصغر من ١٨ إلى ٢١ سنة، والفئة العمرية المتوسطة من ٢٢ سنة إلى ٢٥ سنة، وأخيراً الفئة العمرية الأكبر من ٢٦ سنة وما فوق.

- توزّع المستجوبون على الجامعات الرسمية والخاصة ومعاهد تعليم تقني عالٍ، وهي: الجامعة اللبنانية ببعض فروعها الأولى والثانية ضمن بيروت، الجامعة الأميركية (AUB) (رأس بيروت)، الجامعة الأميركية اللبنانية (LAU) رأس بيروت،

الجامعة اليسوعية في مجمّعيها في الأشرفية وطريق الشام – بيروت، معهد الحكمة في مركزه الجديد في التحويطة – بيروت، الجامعة الأميركية للعلوم والتكنولوجيا (AUST) في منطقة ساسين – بيروت، ومعهد بيجييه للعلوم التجارية والمحاسبة – الجميزة – بيروت.

– توزّعت الاختصاصات الجامعية التي يتابعها الشباب بين العلوم الإنسانية والاجتماعية وإدارة الأعمال والحقوق والإعلام والفنون الجميلة وعلوم الطب والصيدلة والرياضيات والكيمياء والفيزياء والمعلوماتية والهندسة على أنواعها والعلوم التجارية والمحاسبة واختصاصات مهنية وتقنية عالية.

– توزّع الشباب شبه مناصفة بين كل الطوائف المسلمة والمسيحية بدون استثناء.

– شملت العيّنة شباباً من أسر منتشرة بحسب مكان ولادة الشباب ومكان الإقامة الحالية في محافظة بيروت، وما يُعرف ببيروت الكبرى أي في الضواحي الجنوبية والشرقية والشمالية، إضافة إلى بعض البلدات في جبل لبنان ومحافظة الشمال والبقاع والجنوب.

– توزّع الشباب إلى فئات اجتماعية متفاوتة بحسب الدخل والمستوى السكاني للأسر، وبحسب معايير أخرى مبينة لاحقاً.

ثانياً– الفرضيات المعتمدة في الدراسة

تنطلق مقاربة موضوع الشباب والزواج من مجموعة فرضيات متداخلة فيما بينها، وهي:

أ– يربط الشباب الجامعي وضمن فئة عمرية معينة بين الزوج ومقوّمات العلاقة السابقة عليه والممهدة له، ولا يفصل الشباب بين مفهومه للزواج والمواصفات التي ينبغي أن تتوفر لدى الشريك (إناث أو ذكور على حدّ سواء).

ب– تتأثر صورة الزواج ومفاهيمه لدى الشباب بعوامل نفسية أسرية وثقافية واقتصادية واجتماعية وتتغير بتغيّرها.

ج– إن الانتظارات والتوقعات الشبابية حول استحقاق الزواج مرهونة بشروط تجاوز العراقيل والصعوبات التي تعترض تحقق هذا الاستحقاق.

وانطلاقاً من تلك الفرضيات، تضمّنت الدراسة محاور تشمل الخصائص

السكانية والسكنية والتعليمية والطائفية والاقتصادية للشباب وأسرهم. واعتبرت أن هذه الأوضاع الملموسة ترسم الإطار الذي تنبني فيه تصورات الشباب ومواقفهم من مسائل الزواج. أما المحاور الأخرى فهي تتصل بالعناصر الخاصة بالزواج، ومنها مفهوم الشباب للزواج، ومواصفات الشريك، وعوامل الاختبار من وجهة نظر الشباب، والعلاقة بين الرباط الزوجي والحرية الشخصية والتمتع بالحياة، والسن الأمثل للزواج لدى الشباب، والموقف من الخطبة والعنوسة، والطلاق وعملية بلورة القرار النهائي لدى الشباب حيال الزواج واختيار الشريك وطرق التعرف إليه والعلاقات الجنسية قبل الزواج، والزواج المدني، وتعدد الزوجات والمساكنة والصعوبات التي تعترض الزواج من منظور الشباب.

وانطلاقاً من التصور النظري للعلاقة الوثيقة بين المحورين الأول والثاني، تناولت الدراسة تلك العلاقة من خلال تأثير متغيرات الجنس والعمر والعمل ودخل الأسرة والانتماء الطائفي، إضافة إلى التأثر المتبادل بين تفضيل معين للشريك وبعض المواقف من عناصر محدّدة في الزواج.

نفذت الدراسة الميدانية خلال شهر تشرين الأول وقام بعملية الاستجواب بعد اختبار الاستمارة وتدقيقها مجموعة من طلاب معهد العلوم الاجتماعية – الفرع الأول في الجامعة اللبنانية ممن سبق لهم أن مارسوا تجربة الاستجواب الميداني للأفراد. ولم تلق عملية التنفيذ صعوبات كبرى، بل كان التجاوب واسعاً من قبل الشباب إلا في بعض المعلومات المتعلقة بالأجر والدخل وبعض المواقف الأخرى، ومن قبل عدد ضئيل من المستجوَبين، كما هو مبين لاحقاً في عرض النتائج التفصيلية.

ثالثاً– عرض النتائج العامة للدراسة

١– الخصائص الديمغرافية للشباب في العيّنة

شملت الدراسة كما ذكر ٣٤٨ شاباً من الفئة العمرية ١٨–٢٧ سنة، مقسّمة إلى ثلاث فئات: صغرى ومتوسطة وكبرى. وكون الدراسة تطال الكتلة البشرية من الشباب الذين يتابعون تعليمهم الجامعي، فإن الحصة الأكبر داخل العيّنة تعود إلى الفئة العمرية الصغرى وبنسبة ٦٢,١٪ من إجمالي العيّنة. والشباب من هذه الفئة العمرية عادة تكون قد تبلورت لديها القِيم والمفاهيم العامة التي تؤمن بها، وتتحرك في سلوكاتها وعلاقاتها بأثر منها في شؤون الحياة، ولا يمكن اعتبار أن هذه القيم والمفاهيم نهائية، بل تتطور وتنضج وتترسخ أكثر فأكثر، بما فيها التحولات التي

تطرأ عليها، وذلك مع تقدم السن واكتساب المعارف العلمية الجامعية والثقافية خارج الجامعة ومع التجارب الملموسة التي يخوضها الشباب في العلاقة مع الآخر.

إن التساوي بين عدد الإناث والذكور في العيّنة (١٧٤ شاباً لكل جنس) وفّر إمكانية المقارنة بين الآراء والمواقف والأوضاع المعيشية، وتبين أن الاختلاف بين الجنسين يعكس نفسه في التصور والمفهوم المنظور الخاص لكل جنس تجاه مسائل الزواج. فكانت الإناث تشدد على عناصر لم تكن تمثل لدى الذكور الأهمية نفسها حجماً أو وزناً أو تأثيراً. والتحدّي الرئيسي أمام الشباب من الجنسين يكمن في ضرورة معرفة الآخر بخصائصه وتميّزه بدون إسقاطات أو أحكام مسبقة. ومن هذه الزاوية في الرؤية فاجأت نتائج الدراسة ما هو «شائع» أو «معروف» لدى كل جنس من الجنسين تجاه بعض المسائل في الزواج. وبناءً على اعتماد متغير الجنس فقد ظهرت التفاوتات والفروقات إن في المشاعر والأحاسيس أو في المواقف والآراء والمفاهيم، وفي الوقت نفسه برزت تقاطعات والتقاء وتقارب في تلك المشاعر والأحاسيس والمواقف والآراء والمفاهيم بما يسمح التأكيد بأن التميّز في الشخصية لجهة الانتماء الجنسي لا يطغى على القواسم المشتركة التي تجمع بين الجنسين أو يطمسها ارتكازاً على الانتماء إلى الفئة العمرية نفسها، ومواجهة المشاكل والأزمات العامة نفسها والتي تزيد من صعوبات الزواج.

عكست العيّنة في خصائص مكان الولادة والسكن للشباب تنوعاً قائماً داخل جسم الشباب عموماً ولدى المتابعين للتعليم الجامعي على وجه الخصوص في المؤسسات التعليمية الجامعية في العاصمة. فالشباب وبنسبة الثلثين تقريباً مولودون خارج بيروت ومن المناطق والبلدات المدينية والريفية القريبة أو البعيدة نسبياً عن العاصمة. إلا أن نصف عدد الشباب المولود خارج العاصمة، يسكن داخل أحياء ومناطق بيروت الإدارية (حدودها الجناح ومجرى نهر بيروت) وتصل نسبة الساكنين داخل بيروت وضواحيها الجنوبية والشرقية والشمالية إلى حوالي ٩٨٪ من إجمالي عدد الشباب في العيّنة، وهم في الإجمال مشبعون بنوعين من الثقافة والقِيم المتداخلة فيها صفتا المدينية والريفية والتي تعكس تمازجاً وتبايناً في الوقت نفسه بين المفاهيم «التقليدية» و«الأكثر حداثة» للزواج. وتبين من جهة أخرى أن الأكثرية الساحقة من الشباب في العيّنة هم من فئة العازبين وبنسبة ٩٢٪، في حين شكل المتزوجون منهم نسبة ٥,٥٪. وظاهرة متابعة المتزوجين من الشباب تعليمهم أصبحت ملحوظة، ولا سيما في الجامعة اللبنانية، حيث تشهد بعض الكليات والمعاهد

فيها عودة من انقطع لفترة معينة عن التعليم لأسباب الزواج. ونذكر هنا وخارج إطار الدراسة، أنه تزداد أعداد المتزوجات المتقدمات نسبياً في السن (بين ٣٥ و٤٠ سنة) في الانتساب إلى الجامعة، ويُبرِزن متابعة أكثر حضوراً وجدّية من الطلاب الآخرين.

٢- الخصائص السكنية

ينتمي الشباب إلى أسر نواتية في معظمها تعيش تحت سقف واحد، أكثريتها الساحقة من أب وأم و٦ أولاد وما دون، وتتحمل أعباء مادية ومعيشية لجهة السكن والتعليم والصحة والنقل والسكن، إضافة إلى الغذاء. وتواجه اللبنانيين في سوادهم الأعظم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي تولدها السياسات الاقتصادية والمالية والاجتماعية الرسمية. وهي أسر عايشت في مواقع سكنها، كما يدل عليه تاريخ السكن، الحرب الأهلية بمآسيها وبشاعاتها وإفرازاتها والمؤثر على أوضاعها الداخلية الأسرية، كما في تعاطيها مع القضايا العامة.

ويشير وضع المسكن إلى أنها مستقرة في سكنها كونها تملك المنازل التي تقطنها، وذلك بنسبة ٧١,٦٪ مقابل عدد يتجاوز ربع أسر شباب العيّنة من فئة المستأجرين، وفي الحالتين تتحمل أكلاف السكن المتزايدة. وإذا أخذنا في الاعتبار عدد أفراد الأسرة المقيمين وعدد الغرف في المسكن فإن احتمال بقاء الأولاد الذين يقدمون على الزواج في مسكن الأهل يصبح ضعيفاً لجهة القدرة الاستيعابية لمساحة المنزل، مما يدفع الشباب إلى تأجيل الاستحقاق لحين توفر الإمكانات المادية لإشغال مسكن مستقل. ونزعة الاستقلالية الظاهرة لدى الشباب عن الأهل، تشكّل عامل ضغط إضافي على تأجيل خطوة الزواج وتكوين أسرة خاصة.

٣- الخصائص التعليمية

تعكس الخصائص التعليمية للشباب في العيّنة لجهة نوع الاختصاص العلمي الميل المتزايد إلى تحصيل المعارف في الاختصاصات العلمية كون أزمة العمل بين خرّيجي الاختصاصات الإنسانية والاجتماعية تتفاقم أكثر فأكثر، مقابل ما هو «شائع» بأن الاختصاصات العلمية تُزوّد الشباب فرصاً أكبر لإيجاد عمل. غير أن الواقع الملموس لوضع سوق العمل والبطالة في صفوف الشباب الجامعيين يظهر أن فرص العمل تضيق باستمرار على حاملي الإجازات في علوم الرياضيات والعلوم الأخرى والهندسة والمعلوماتية وسواها.

أما نوع التعليم للشباب في العيّنة إنْ في المرحلة الثانوية أو الجامعية يبين أن

المؤسسات في التعليم الخاص لا تزال تجتذب العدد الأكبر وسط إصرار العديد من العائلات على تعليم أبنائهم في جامعات خاصة، ولو اقتضى الأمر الاستدانة. إن موقف السلطات الرسمية من التعليم الرسمي والجامعة اللبنانية لجهة التلكّؤ في تطويرهما وتوفير شروط تحسين المستوى والتجهيزات الضرورية وتقليص الموازنة الخاصة بالجامعة الرسمية، يضاعف ذلك كله من ميل الأهل إلى تفضيل الجامعات الخاصة على الجامعة الوطنية.

٤- خصائص العمل للشباب ودخل الأسرة

إن متابعة التعليم الجامعي تفرض على الطالب شروط التفرغ لها بالكامل، غير أن عدداً من الشباب يبدأ في العمل خلال متابعته للتعليم بسبب الظروف الاقتصادية والاجتماعية للأسرة والتي تستوجب مساهمة الأولاد في تحمل الأعباء المعيشية. وتبين أن ٢١٪ من الشباب في العيّنة يعملون مقابل ٧٨,٣٠٪ من الشباب المتفرغين للدراسة. ومن خلال ملاحظة أوضاع الطلاب الجامعيين يمكن القول إن أعداداً أكبر منهم مستعدون للعمل قبل الحصول على الإجازة غير أن سوق العمل لا تستوعبهم. وظهر في نتائج الدراسة أن الخبرة في العمل لا تزال ضئيلة من خلال حداثة الدخول إلى العمل وهي تقل عن ثلاث سنوات كمعدل وسطي. ولكن الشاب العامل يدخل في ظروف ومناخات مغايرة تماماً عن تلك السائدة في الجامعة أو الأسرة وتنعكس في فعلها بالملموس في الاختلاف ولو النسبي عن الشباب الآخرين تجاه موضوعات الزواج.

معظم العاملين من الشباب هم أجراء أو مستخدمون في مؤسسات قطاع الخدمات على أنواعها، ولكن يتّسم عملهم بالموسمي والطارئ بنسبة ٥٢٪ من إجمالي العاملين، مما يجعل وضعهم غير مستقر ومعرّض في كل لحظة للتغير والوقوع في البطالة. وهذا الأمر يضغط بثقله على مفاهيم وتصورات وانتظارات الشباب حيال الزواج، وينعكس قلقاً مستمراً وتردداً، لا سيما أن مستوى الأجور التي تتسم بها شروط عملهم لا تبعث بعناصر تخفف من هذا القلق. فالأكثرية الساحقة من العاملين يقلّ أجرهم عن ٦٠٠ ألف ل.ل. ولا يغطي سوى جزء معين من الحاجات الشخصية للشباب ويرسّخ ذلك الوضع القناعة لدى الشباب بأن أجراً في هذا المستوى ولو مضاعفاً لا يمكّن من الدخول في مغامرة تكوين أسرة جديدة.

وتبين في الدراسة أن حوالي نصف عدد الشباب يستفيد من التقديمات الاجتماعية، إما من خلال أسرهم أو كونهم مسجّلين إلزامياً وعلى حسابهم في إحدى

أنظمة الحماية الاجتماعية والصحية حصراً وفق شروط الانتساب إلى الجامعة. ولكن تفاصيل الأجوبة أظهرت أن أكثرية الشباب العاملين ولا سيما الموسميين منهم لا يستفيدون من الضمان الاجتماعي بصفتهم أجراء، ويعكس ذلك استغلالاً واسعاً من أصحاب العمل وتهرباً من واجبات يفرضها قانون العمل والتشريعات الاجتماعية القائمة.

لا يستطيع العدد الأكبر من الشباب المساهمة في أعباء الأسرة رغم كون البعض منهم يعمل. وعلى العكس من ذلك فإن كل الشباب في العيّنة يستحصلون على مصروف من أهلهم لتلبية احتياجاتهم، وهذا يضعهم في تبعية تجاه الأهل كعنصر إضافي من استمرار تلقّي أثر التوجيهات والتعليمات من الأهل في مسائل عدة، بما فيها السلوكات اليومية وصولاً إلى المسموح والممنوع في العلاقات فيما بين الشباب ولا سيما تمضية أوقات الفراغ.

إن الأوضاع الاقتصادية للأسر ولا سيما لجهة الدخل تشكل متغيراً كبير الأهمية في تبلور مفاهيم وتصورات الشباب تجاه مسائل عديدة جداً في الحياة وأبرزها الزواج. وأسر شباب العيّنة بمعظمها من ذوي الدخل المتوسط وما دون، ووفق مؤشرات دراسة الأوضاع المعيشية للأسر الصادرة عن مديرية الإحصاء المركزي تقع أسر عديدة في خانة خط الفقر أو ما دونه، في حين تصطف أسر أخرى في خانة ما فوق خط الفقر بقليل. وفي تفاصيل النتائج كما هو مبين لاحقاً، فإن عنصر الدخل مؤثر في مواقف عدة تجاه الزواج.

وكما هو سائد لدى العديد من الأسر اللبنانية في ظل الأزمات الاقتصادية، فإن اللجوء إلى قروض والعيش بالتقسيط أصبحا ظاهرة شبه شاملة في الاستهلاك وتلبية الحاجات المعيشية، غير أن أنظمة وسياسات منح القروض من المؤسسات المصرفية والخاصة لا تسمح كثيراً للشباب الاستفادة منها إلا ضمن شروط تبدو للعديد منهم تعجيزية ومكلفة. وفي مسألة الزواج يعتمد أكثرية الشباب على القروض التي ينوون الحصول عليها بالتلازم مع الإقدام على الزواج، إلا أن شرطي العمل الدائم والأجر المؤاتي المتصلين بعملية منح القرض غير متوفرين دائماً.

٥- خصائص الانتماء الطائفي للشباب

يجمع الباحثون الاجتماعيون على أن مسألة الطائفية أصبحت خلال الحرب وما بعدها متغيراً كبير الأهمية في المواقف وسلوكات الجماعات والأفراد تغذيها طبيعة

النظام السياسي الطائفي المتأزّم والسياسات المتبعة من المراجع الرسمية، وتأثير العنصر الطائفي على ظروف الشباب في لبنان يتنامى في ظل الفرز السكاني والسكني والاجتماعي والسياسي الذي ولّدته الحرب والحياة السياسية في العقد الأخير. ولكن «الشائع» في الوعي العام في المجتمع غير دقيق في الملموس فيما يتعلق بالمواقف والتصورات لدى الشباب، حيث إن نتائج الدراسة أظهرت بوضوح أن بعض المسائل يلتقي عليها الشباب حيال الزواج بغض النظر عن الانتماء الطائفي أو المذهبي، ويحمل بعضها أملاً وأفقاً رحباً لقواسم مشتركة بين الشباب تخترق الحواجز الطائفية لتؤسس لاحتمالات فعلية لدى العديد من الشباب بحسب استعداداتهم للخروج من القوقعة الطائفية والانخراط بأعمال ترتكز على المصالح التعليمية والاقتصادية الواحدة بما فيها وبالدرجة الأولى التصدّي للمعوّقات والصعوبات أمام تكوين أسرة جديدة على أساس الزواج.

٦- مفهوم الزواج عند الشباب

من خلال الخيارات التي عرضت أمام المستجوَبين لانتقاء ثلاثة منها بحسب درجة الأهمية في مراتب أولى وثانية وثالثة، ظهر أن العناصر النفسية تتفوق في أهميتها على العناصر المادية والاجتماعية التي تحتل أيضاً مواقع أساسية في مفهوم الشباب تجاه الزواج. فالاستقرار النفسي وتكوين الشخصية والاندماج والتفاعل والمشاركة مع الآخر، إضافة إلى تلبية الحاجات الجنسية بشكل شرعي هي عناصر استحوذت على قسط كبير من الأجوبة في الخيارات الواردة في الاستمارة. وفي الموقع الثاني تأتي العناصر المادية الضرورية والمكمّلة لمفهوم الزواج. ويعكس ذلك أمرين أساسيين: الأول أن الزواج لا يزال في مفهوم الشباب علاقة شخصية إنسانية بالدرجة الأولى بين طرفين، وليس مؤسسة تقوم على قواعد ومرتكزات تفرض نفسها فيما بعد في تكوين الأسرة. والأمر الثاني أن هذا المفهوم الذي يحمل تثقيلاً هاماً للعنصر النفسي يلقي الضوء على العامل الحاسم في التربية الأسرية والعلاقات بين أفرادها والمستندة إلى مؤسسة زواج الأهل والتي منها يستمد الشاب في طفولته ومراهقته، وفيما بعد في نضوجه واكتمال شخصيته مكوّنات صورته ومفهومه عن الزواج.

٧- مواصفات الشريك وعوامل الاختيار له

إن القرار الذي تتخذه الإناث تجاه شريك حياتها المقبل ينبع من قناعتها

ورغباتها في توفر مواصفات معيّنة لديه والأمر نفسه بالنسبة للذكور تجاه شريكة حياته العتيدة. وضمن الخيارات التي عرضت أمام كل من الإناث والذكور حول مواصفات الشريك تبين أن الذكور لا تزال قيم الأنوثة والجمال لدى الإناث مصدر الاهتمام الأول وتليها المواصفات التي لا تتعلق بالشكل والخصائص الفيزيولوجية ومنها المستوى التعليمي للشريكة وقوة الشخصية واستقلاليتها والأخلاق التي تتحلّى بها. إلا أن ما تُبيّنه الدراسة يكشف أن سلم المواصفات لدى الجيل الجديد يختلف عن سلم الأهل والأجيال السابقة، حيث لم يعد الشباب يفتشون عن المرأة المطيعة والمستسلمة، بل يفضلون الفتاة التي تبرز في شخصيتها عناصر الإقدام والقوة والثقة بالنفس واستقلالية القرار. وما كان يغذيه بعض الأهل أو يصرّون عليه في أن تكون «العروس» حاملة «دوتا» أو متمكنة مادياً (عبر ثروة أهلها) لم يتوقف عنده الشباب الذكور في مواصفات الشريكة.

وفي المقابل، ما تعزز في نتائج الدراسة لدى الإناث في تمسكهم بمواصفات يطلبونها لدى الشريك هو المبدأ الحاسم في احترام المرأة وحقوقها من قبل الرجل ووفائه للشريكة والتزامه بها، إضافة إلى القدرة المادية التي تؤهّله في تحمل أعباء أسرة. كما ظهر في موقف الإناث أن مواصفات كالمستوى التعليمي والتحلّي بذهنية عصرية منفتحة غير متزمّتة إضافة إلى قوة الشخصية لا تزال عناصر تجذب الفتيات في عملية اختيار الشريك.

وتبين من جهة أخرى أن العامل الأول في اختيار الشريك إضافة إلى المواصفات هو الحب العاطفي وبشكل كاسح في فعله وتأثيره على الجنسين معاً. وينسجم ذلك بقوة مع مكوّنات مفهوم الزواج لدى الشباب والمتصل بالعناصر النفسية والشخصية، ويبدو أن الشباب في الجيل الطالع أكثر تمسكاً بالمشاعر والأحاسيس العاطفية كأساس للاختيار في المعادلة الشائعة في الأجيال السابقة بأن الزواج هو مزيج من الحب والعقل معاً. وانعكس ذلك في ما يعود إلى العقل أي الاستطاعة المادية ونوع المهنة والانتماء الاجتماعي بما فيه الطائفي والانسجام بالآراء والأفكار ومن ضمنها السياسية والتي نالت كعناصر تؤدي دوراً في اختيار الشريك أنصبتها في الأجوبة وضمن أحجام وأوزان مختلفة بحسب العمر والجنس والعمل والدخل والانتماء الطائفي للشباب.

وما ينبغي التوقف عنده في هذا السياق، أن معتقدات وقِيم معينة كانت ولا تزال تحتل أهمية لدى الأسر وعبرها لدى الشباب، مثل مواصفات أن تكون الأنثى

عذراء أو ربة منزل أو عوامل مثل أن يكون الشريك أو الشريكة من عائلة معروفة، لم تحظ لدى الشباب من أهمية ملحوظة ومجسدة في عدد الأجوبة وضمن ترتيب الأهمية. ويفرض هذا الأمر مسألة إعادة النظر أو ضرورة التعديل في النظرة لدى الأهل حيال صورة معينة عن الزواج التي يُربّون أولادهم من أجل اقتنائها.

٨- الموقف من مسائل مختلفة من الزواج

بيّنت نتائج التحقيق الميداني أن الشباب يعرف جيداً العلاقة بين الزواج كارتباط والتزام مع الشريك في مسار مشترك يختلف عن الحياة الفردية ما قبل الزواج، وهم لم يروا تناقضاً بين أن يكون الشاب متزوجاً وأن يحافظ في الوقت نفسه على قدر من الحرية الشخصية، فالزواج عندهم لا يلغي هامش الحرية لكل شريك من الشريكين ولا يعني العيش معاً في ظل علاقة مؤسساتية القضاء على متع الحياة، بل هو يفتح أمامهم إمكانية تحقيق متع مختلفة عن تلك التي يعرفونها في حياتهم ما قبل الزواج.

وإذا ما كانت الإحصاءات الرسمية في التقديرات السكانية تشير إلى أن معدل سن الزواج الذكور تخطى الـ٣٠ سنة، وكذلك معدل سن الزواج للإناث تحدّد بـ٢٧ سنة، فإن شباب العيّنة اعتبروا أن السن الأمثل للزواج لدى الذكور والإناث هو دون هذا المعدل، ويميلون إلى تقدير سن أمثل يقل بسنوات عما هو في الواقع الفعلي. فالأوضاع السكانية والاقتصادية والاجتماعية ما بعد الحرب دفعت سن الزواج في لبنان إلى عتبة هي الأعلى بين الدول العربية وحتى في العالم. ولا شك أن الصعوبات التي تعترض زواج الشباب في سن مبكر وهي صعوبات شديدة في تأثيرها، أمر لا يستطيبه الشباب كما صرّحوا في أجوبتهم، ويشكل الواقع الفعلي تعارضاً مع انتظاراتهم وتمنّياتهم، حتى أن البعض منهم لديه رغبة في الزواج في سن تتناسب مع الفئة العمرية التي ينتمي إليها فيما لو توفرت له الظروف في تحقيق رغبته، فالشائع أن الشباب اليوم لا يرغبون في الزواج في حين أن تمنيات الشباب تشير إلى عكس ذلك.

وعلى خلاف ما كان سائداً قبل الحرب في معدل عدد أفراد الأسرة، فإن الشباب في العيّنة يميلون إلى عدد من الأولاد يتراوح بين ولدين وثلاثة كمعدل عام، ولا شك أن ضغوطات الحياة ومشاغلها ولا سيما ظروف المعيشة المتأزمة تدفع إلى هذا الموقف.

لا يخاف الشباب من العنوسة ولكنهم يقلقون لاحتمال انطباقها عليهم في المستقبل ولا يزال الموقف من الخطبة بأنها ضرورية حتى لو تكاثرت التزاماتها المادية والاجتماعية، إذ إنها مرحلة انتقالية يختمر خلالها القرار النهائي. إلا أن «الشائع» من إيمان لدى الشباب بما يسمى القدر أو بالعامية «القسمة والنصيب» حيال الزواج مسألة فعلية وتؤدّي دوراً لدى شباب اليوم وتعبّر عن جانب القلق وعدم اليقين تجاه المستقبل وترددا في الثقة بالنفس.

ما كان قدراً مشؤوماً في السابق والمتمثل بالطلاق وما هو مدان في التعاليم الدينية وغير محبذ قوله، يتعامل الشباب معه (فكرة الطلاق) على أنها مسألة ممكنة ويتقبلونها، وفي الوقت نفسه يرفضون الطلاق كطريقة لحل الخلاف مع الشريك، بل يفضلون معالجة الخلل بالتفاهم والتنازل المتبادل.

وأعرب معظم الشباب من كل الأعمار ومن الجنسين معاً تفضيلهم ليكون الشريك مؤمناً والبعض تطلب أكثر من ذلك إذ يفضل أن يكون متديناً يمارس واجباته الدينية بالكامل، مقابل نسبة ضعيفة ممن يرغبون في أن يكون الشريك غير مؤمن أو لا يهتمون إذا كان كذلك. إلا أن الإيمان عندهم لم يمنعهم من اتخاذ مواقف منفتحة تجاه بعض المسائل الحساسة من وجهة نظر الدين والمرجعيات الدينية مثل الطلاق والعلاقات الجنسية قبل الزواج، والزواج المدني وحتى المساكنة بدون زواج. وإذا ما كانت النسب لجهة الحجم تميل على وجه العموم إلى رفض هذه المسائل ولكن النسب التي عبّرت عن تأييدها هي ملفتة للاهتمام وبخاصة لدى الفئة التي تفضل الشريك مؤمناً وحتى متديّناً.

ووجدت هذه المواقف المؤيدة لدى فئات من الشباب في العيّنة ممن صرحوا أنهم نشأوا على تربية أسرية محافظة متشددة أو حتى على قدر متوسط من الانفتاح.

لا تزال العلاقات الأسرية مؤثرة في تحديد سلوك وتصورات وقيم ومواقف الشباب. وانعكس ذلك في حجم التأثر في القرار النهائي للزواج واختيار الشريك وكذلك في الصورة التي يكوّنها الشباب عن الزواج. ورغم ذلك فإن الميل إلى اتخاذ القرار بشكل فردي ومستقل عن الأهل والأصدقاء المقرّبين واضح وملحوظ في أجوبتهم ويعكس قدراً من الاستقلالية رغم استمرار علاقات التبعية تجاه الأسرة في الوجهة المعنوية والمادية على وجه الخصوص. وتظهر ميزة الثقة بالاستقلالية الفردية في تفضيلهم لطريقة التعرف بشكل مباشر وبمبادرة من أحد الطرفين إلى

الشريك المستقبلي بدل اللجوء إلى طريقة التعرف بواسطة الأهل أو الأصدقاء في مقابل رفض واضح لطريقة «مدبرة الزواج» أو مكاتب متخصصة للزواج.

تبيّن في الدراسة أن آراء الأهل والأصدقاء أكثر تأثيراً في تكوين صورة الزواج لدى الشباب من مصادر أخرى، منها الإعلام المرئي والتلفزيوني ولا سيما المسلسلات والأفلام اللبنانية والعربية والأجنبية التي تعرض كل منها أنواعاً وأنماطاً من العلاقات الخارجية وتروّج لها. وتبين أيضاً أن تأثير التعاليم الدينية في تكوين صورة الزواج لدى الشباب مؤثرة، ولكنها ليست لدى الأكثرية من جهة عدد أجوبة الشباب، وتتفاوت تأثيراتها وفق العمر والجنس والعمل والدخل والانتماء الطائفي. فالربط الميكانيكي والشكلي بين الإيمان من جهة، والتعاليم الدينية من جهة أخرى لا يُعتد به في الموقف حيال صورة الزواج، وأن المسألة أكثر تعقيداً وتحتاج إلى تبصّر وتمعن وإلى دراسة معمّقة حول هذا الموضوع وهي خارج اهتمام هذه الدراسة وأهدافها.

٩- الصعوبات أمام الزواج

إذا ما كانت العناصر والدوافع النفسية والعاطفية تشكل الرافعة الأولى للقرار في الزواج، فإن العناصر نفسها احتلت مواقع الأهمية في تحديد الصعوبات أمام الزواج من وجهة نظر الشباب. غير أنها جاءت وبمسافة بعيدة جداً في الموقع الثاني بعد الصعوبة الأكثر جدية وبنسبة قاربت الـ٨٩٪ من أجوبة الشباب، هي إيجاد العمل. وظهر في هذا السياق فعل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية الضاغطة في مسألة الزواج، إذ بدون عمل مستقر يؤمن دخلاً ملائماً هنالك استحالة للزواج وتكوين أسرة جديدة.

وتبين بوضوح في نتائج العيّنة أن مسائل أخرى مادية كإيجاد مسكن مستقل، تشكّل إحدى الصعوبات، إذ إن صورة الزواج في ذهن الشباب تعني أسرة مستقلة وفي منزل مستقل.

في المواقع الأخرى التي احتلتها أنواع من الصعوبات، برزت عناصر مثل صعوبة التعرف إلى الآخر وإقامة علاقات عاطفية معه، كما صعوبة إيجاد شريك ينسجم معه بالكامل.

في الواقع إن الاعتراف بهاتين الصعوبتين لدى الشباب الجامعي، يعكس أزمة في العلاقات بين الجنسين في هذه الفئة العمرية وتصريحهم مبني على التجربة

الملموسة والمعاشة يومياً في حياتهم الجامعية وخارج الجامعة.

وفي مقام آخر من الصعوبات برز ضغط الأهل وتدخلهم في اختيار الشريك محدد وهي ليست من الصعوبات الناشئة عن التوقع المستقبلي بل هي ناتجة عن معطيات معاشة بين الشباب وأهلهم إن في النقاش حول الموضوع أو في ممارسة الموقف في مناسبات عدة. وتنعكس مجمل هذه الصعوبات والضغوط على الشباب لدرجة جعلت البعض منهم يعبر عن خوفه من تحمل مسؤولية تكوين أسرة، وهي في الواقع الأسري والاجتماعي تعكس حجم المأساة النفسية التي تنتاب قسماً من شباب اليوم وتدفعهم إلى اليأس والإحباط.

إن هذه الخطوط العامة لأهم وأبرز النتائج التي توصل إليها التحقيق الميداني لا تعطي صورة وافية عن واقع الشباب في العيّنة لجهة الوضع الملموس. فالنتائج التفصيلية عبر العرض اللاحق تكشف بصورة أوضح تلوينات هذا الوضع وتنوع المواقف والقيم لدى الشباب، ولا سيما في العلاقة مع متغيرات كالعمر والجنس والعمل والدخل والانتماء الطائفي.

وهي على وجه التوكيد نتائج خاصة بالعيّنة المدروسة، غير أنها تكشف واقعاً يعيشه شباب اليوم ويدعو إلى التبصر من الأهل والمرجعيات المهتمة بأوضاع الشباب، وبشكل خاص الهيئات والمنظمات الطامحة لأداء دور مع الشباب والدفاع عن مصالحهم وحمل مطالبهم والسعي إلى تحقيق آمالهم.

بعض الجداول التي اختارتها «باحثات»:

جدول رقم (٣٩) توزع الشباب بحسب تحديدهم لعوامل اختيار الشريك (في المرتبة الأولى)

عوامل اختيار الشريك	العدد	النسبة
حب عاطفي	٣٣٠	٩٤,٨
الاستطاعة المادية	٩	٢,٦
الانتماء الطائفي	٦	١,٧
نوع مهنة الشريك	٣	٠,٩
المجموع	**٣٤٨**	**١٠٠**

جدول رقم (٤٠) توزع الشباب بحسب تحديدهم لعوامل اختيار الشريك (في المرتبة الثانية)

عوامل اختيار الشريك	العدد	النسبة
الاستطاعة المادية	١١٣	٣٢,٥
المستوى التعليمي للشريك	١٠٨	٣١,٠
الانتماء الطائفي	١٠٣	٢٩,٦
نوع مهنة الشريك	١٨	٥,٢
عائلة معروفة	٤	١,١
حب عاطفي	١	٠,٣
انسجام في الآراء	١	٠,٣
المجموع	**٣٤٨**	**١٠٠**

جدول رقم (٤١) توزع الشباب بحسب تحديدهم لعوامل اختيار الشريك (في المرتبة الثالثة)

عوامل اختيار الشريك	العدد	النسبة
انسجام في الآراء	١٥٦	٤٤,٨
المستوى التعليمي	١٣٥	٣٨,٨
الانتماء الطائفي	٢٧	٧,٨
عائلة معروفة	١٧	٤,٩
نوع المهنة	٧	٢
متمكن مادياً	٢	٠,٦
لا جواب	٤	١,١
المجموع	**٣٤٨**	**١٠٠**

جدول رقم (٥٥) توزع الشباب بحسب الرأي من الطريقة التي يفضلها في التعرف إلى الشريك

طريقة التعرّف	العدد	النسبة
مباشرة	٣٢٤	٩٣,١
أقارب	١٤	٤,٠
مدبرة	٢	٠,٦
لا جواب	٨	٢,٣
المجموع	**٣٤٨**	**١٠٠**

جدول رقم (٥٦) توزع الشباب بحسب الموقف من العلاقات الجنسية قبل الزواج

الموقف	العدد	النسبة
نعم	١٣١	٣٧,٦
لا	٢١٧	٦٢,٤
المجموع	**٣٤٨**	**١٠٠**

جدول رقم (٦٥) توزع الشباب بحسب تحديدهم لأهم الصعوبات بوجه الزواج (في المرتبة الأولى)

نوع الصعوبات	العدد	النسبة
إيجاد عمل	٣١٠	٨٩,١
التعرف إلى الآخر وإقامة علاقات عاطفية معه	٢١	٦,٠
ضغط الأهل لاختيارك شريك محدد	١٠	٢,٩
إيجاد شريك ينسجم معه بالكامل	٦	١,٧
لا جواب	١	٠,٣
المجموع	**٣٤٨**	**١٠٠**

جدول رقم (٦٦) توزع الشباب بحسب تحديدهم لأهم الصعوبات بوجه الزواج (في المرتبة الثانية)

نوع الصعوبات	العدد	النسبة
إيجاد شريك	١٦٩	٤٨,٦
ضغط الأهل	٧٣	٢١
إيجاد مسكن	٦٧	١٩,٣
تعارف	٣٦	١٠,٣
إيجاد عمل	١	٠,٣
لا جواب	٢	٠,٦
المجموع	**٣٤٨**	**١٠٠**

جدول رقم (٦٧) توزع الشباب بحسب تحديدهم لأهم الصعوبات بوجه الزواج (في المرتبة الثالثة)

نوع الصعوبات	العدد	النسبة
خوف من تحمّل مسؤولية	١٦٠	٤٦,٠
إيجاد مسكن	١٣٥	٣٨,٨
إيجاد شريك	٤٥	١٢,٩
لا جواب	٤	١,١
ضغط الأهل	٣	٠,٩
تعارف	١	٠,٣
المجموع	**٣٤٨**	**١٠٠**